بين الحقيقة والخيال

لرامي الراعي

— أنتَ من أنت وما أنت أيها الخيال

— وأنتِ من أنت وما أنت أيتها الحقيقة

— أنا الحقيقة وكفى

— وأنا الخيال وكفى

— أنا المعلوم المحدّد الملموس ولي اتباعي

— وأنا المجهول الذي لا حدّ له ولا تطاله يد ولي اتباعي

— أنا كلمة الله في خليقته

— وأنا خليقته في رأسه قبل ان أخرجها منهُ فأراها النور

— أنا الجوع والشبع والظمأ والماء والرداء

— ليس في ذلك ما يدعو الى الفخر والمباهاة

— أنا جسد المرأة ووصالها

— وأنا جمالها وسرّها وفتنتها وقلبها وسحرها ووحيها . . . انا ما تراهُ فيها ولا يؤخذ منها

— أنا الأبجدية والأرقام

— هي قيودك أيتها العبدة ، أما أنا فلا حدّ لي ولا قيدَ يقيّدني

— أنا الراقد وسريره

— وأنا الحلم ووثبتهُ

— أنا الحياة والموت

— وأنا وراءها النعيم والجحيم

— أنا الكأس وخمرتها

— وأنا السكرة والعربدة

— أنا المنطق والجبر والهندسة واللاهوت

— وأنا الشعر

— أنا سقراط وأفلاطون واقليدس

— وأنا هوميروس وڤرجيل ودانتي وملتن

— أنا اليقين

— وأنا الشك

— أنا العقل الجميل

— وأنا الجنون الجميل

— أنا الحجر الذي تراه بارزاً في البناء

— ولكن البنّاء اخذه من مقالعي فبناؤه لم يتم في الارض الاّ بعد ان تخيّله

— أنا الحكمة والعدل والفضيلة والبطولة والشرف والإباء والكرامة والمجد

— هي كلمات انتزعتها من قلبي وقت تلادين انها لك . . . هي كلمات طنّانة رنّانة قذفت بها أرحامي فجاءت على صورتي ومثالي خيالاً لا حدّ لهُ ولا تعرف

— أنا الكنيسة والصلاة

— وانا لهب العقيدة

— أنا العصفور وجناحه وغصنه وصيّاده

— وأنا لونه وتغريده

— أنا قلم الكاتب ومداده

— وأنا وحيه والهامه

— أنا قصف التاريخ

— وأنا نصفه الآخر

— أنا القناعة

— وأنا الطموح

— أنا الصخرة الراسخة التي لا تتزعزع

— وأنا الموجة الهائجة التي لا تستريح

— أنا الحقيقة

— وأنا الخيال

— أنا الانسانية

— وأنا الروحانية

— أنا قمر الليل

— وأنا أشباحه

— أنا العود ووتره

— وأنا أنّته . . .

— وظلّ الخيال والحقيقة يتقران على هذا الوتر ليلة كاملة . . .

— وطلع الفجر وهما يتجادلان ويتشيطان غضباً ويتنازعان السيادة . . وأنا اتفرج عليهما واسمع لحديثهما العالي

— وأشرقت الشمس فأقبلت عليها أسألها أن تقول كلمتها فأعرف مَنْ من الاثنين أؤثره على الآخر : الحقيقة أو الخيال . .

— فأطرقت الشمس برأسها قليلاً ثم التفتت اليّ وقالت :

— أنظر الى وجهي وأشعّتي : أنا النار والنور، وهكذا أنت فنار خيالك ونور حقيقتك فكل للشمس المشرقة فيك ولا تعجب لشطريك اللذين يتنازعان السيادة في رأسك فكل منهما عظيمٌ في دائرته وقويٌ بنفسه